وبسبب هذا التعلق بالارض كان على الصهاينة ان يستولوا عليها بالقوة ويطردوا اهلها ، وكان على احد طرفي النزاع ان يمحو احدهما الاخر لان التعايش مستحيل . وقد سخر الشعراء من القوانين التي صدرت بغية وضع اليد على الاراضي وخاصة القانون حول «ممتلكات الغائبين» الذي علق عليه الشاعر راشد حسين بقوله : « الله اصبح غائبا يا سيدي ، صادر اذن حتى بساط المسجد » . ان الجيل الجديد من الشعراء يواصل المحافظة على العهد . فالارض عنده ترادف العودة والتحرير .

لقد ركزت الايديولوجية الصهيونية في برامجها المدرسية على ان اسرائيل وريث شرعي لتاريخ يمتد عبر ٣٠٠٠ سنة وحاولت ادخال هذا في عقول اطفالها وفي عقول العرب اذا امكن . ان نظرة سريعة على البرامج المدرسية الاسرائيلية تظهر لنا ان كافة المواد تخضع لعملية انتقاء مركزة ولتوجيه معين ليس فقط لاظهار اسرائيل على شكل متفوق ولكن لمحاولة تذويب شخصية العرب كذلك . وحتى تدريس الاسلام والقرآن يخضع لمثل هذا التشويه المعتمد . فاذا بالعرب جمع من الغازين ، واذا بتاريخهم سلسلة متوالية من الغزوات الفاشلة او الناجحة ، واذا باسماء الانهر والمدن والمناطق تعود الى اصلها العبري . هذا كله يعطي اهمية للشعر الفلسطيني الذي يظهر كرد وحيد على هذه الموجة من التضليل والتحقير . ان الشعراء « اللاجئين في وطنهم » يعيدون قراءة تاريخهم ويحافظون عليه .

ان الترفع الاخلاقي الذي ميز شعر الارض المحتلة يلفت النظر . فرغم كل ظروف القمع والاضطهاد والتنكيل لم يقع هؤلاء الشعراء في الفخ الذي يتمناه لهم اعداؤهم الا وهو فخ العنصرية . ان هذا دليل نضج سياسي كبير . فلا نجد بينهم من يتعرض لليهود كاتباع دين وانما الهجوم مركز على الصهيونية وارتباطها بالاستعمار والعنصرية. ونلاحظ من خلال تتبعنا لشعر الارض المحتلة ان هؤلاء الشعراء قد تطوروا كثيرا في رؤيتهم السياسية فلم تعد قصائدهم مجرد الم وذكرى وتعلقا بالارض والتاريخ والانسان بل اصبحت تطرح بكل وضوح طرق التحرير وسبل الكفاح وتحولت الى سلاح فعال في معركة الحرية .

يتساءل البعض كيف سمحت اسرائيل لهؤلاء الشعراء ان ينشروا شعرهم؟ والحقيقة ان الخطوة جاءت منها بغية اظهار نفسها على انها « واحة الحرية في الشرق الاوسط » . والحقيقة ان اسرائيل كانت تطبق القاعدة التي تكلم عنها محمود درويش وهي : « اكتب ما تشاء وادفع الثمن الذي تشاء ». وسلسلة التسريحات من الوظائف ، والتوقيف ، والاقامة الاجبارية ، والمحاكمات الخ .. سلسلة طويلة تروي حقيقة هذه الحرية المزعومة . وواقع الامر ان اسرائيل لم تكن تعطي اهمية كبيرة لهذا الشعر حتى عام ١٩٦٥ ربما على سبيل الاحتقار او ربما لانها لم تكن على علم به . لقد نشرت اولى القصائد في نشرة شبه سرية تابعة لمنظمة « الارض » في اوائل الستينات حتى عام ١٩٦٤ ، حين حلت هذه المنظمة . ثم لجأ الشعراء الى الصحافة العربية التي يصدرها الحزب الشيوعي ولكنهم سرعان ما اصطدموا مع هذا « اليسار » الاسرائيلي الذي لا يمكنه ان يتعدى بعض الحدود . وانصبت عليهم موجة التوقيفات فذاق جميعهم دون استثناء مرارة السجن . لكن شعرهم عرف في العالم العربي ولم يعد هناك من سبيل لمنع « تسريبه » الى الخارج حيث يقرأ على نطاق واسع .

ان الترجمة التي يقوم بها عبد اللطيف اللعبي لا تهدف حسب تعبيره الى « اضفاء جو خاص » و « نغم متميز » من اجل تحريك مشاعر الجمهور المهتم بالالوان الفولكلورية وتطويع هذا الشعر للغة الفرنسية . انه شاعر عربي هو نفسه « ويريد ان يوصل نتاج اخوانه الفلسطينيين بكل الحرارة التي يتميز بها » . انه لا يعلق اهمية كبيرة على التفاصيل الجمالية التي تثير سعادة المترجمين العلميين ولكن اهتمامه منصب على استعادة « روح » هذا الشعر ونفسه .

ان هذا الكتاب هو دون شك مرجع هام لكل متتبع لشعر المقاومة لا في الغرب فحسب بل حتى في الشرق . ذلك ان المعلومات الواردة عن عدد كبير من الشعراء ، ومستوى الترجمة الرفيع ،والروح التي وضعها الشاعر المترجم في عمله تعطي لهذا العمل قيمة فنية حقيقية . واذا صح ان ترجمة الشعر هي المحك لمدى قيمته ولمدى ما يتبقى منه من المعاني ، فان هذه الترجمة تظهر بما لا يدع مجالا للشك القيمة الحقيقية التي يتمتع بها الشعر الفلسطيني المقاتل كما يسميه اللعبي .

جورج راسي